الانتقال إلى القرى الزراعية الأولى والتغير في بنية المواقع الاستيطانية في جنوبي بلاد الشام

نبيل علي و خالد أبو غنيمة

ملخّص: شملت مرحلة الانتقال إلى القرى الزراعية متغيرات على العديد من الأصعدة، لم تقتصر على الجانب الاقتصادي وحسب، بل تعدّتها إلى جوانب اجتماعية - ثقافية مختلفة. هذه الجوانب انعكست في مفرداتها على طبيعة علاقات الأفراد داخل المجتمع الواحد، وكيفية تنظيم المرافق البنائية المتنوعة، لتتلاءم مع المتطلبات الحياتية «الجديدة» سواء على الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري. تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على كيفية تنظيم المرافق البنائية والمعمارية، مثل: المباني السكنية، والمباني العامة، والمرافق الأخرى (مثل أماكن التخزين) للمجتمعات الزراعية، وأثر المتغيّرات، مثل: التنظيم الاقتصادي، والاجتماعي، والفكري (الممارسات أو شعائر الطقوس) على توزيع هذه المرافق.

***Abstract*:** *The Neolithic period in the southern Levant is characterized by a transition to a more sedentary life. Settling in permanent houses brought about changes not merely on economic practices of Neolithic societies, but also on socio-cultural contexts. These changes influenced the relationships among community members and the spatial context of the village structure. This paper aims at highlighting the effect of the socio-cultural changes of early villages in the southern Levant on the spatial relationships of village structure and how this structure was developed to meet the people's "new" mode of life. Moreover, it aims at discussing the causal relationship between socio-cultural changes and public and domestic architecture organization, and how these were changed to meet the economic, social and ritual needs of Neolithic societies.*

المقدمة

ترافقت مرحلة الانتقال إلى العصرالحجري الحديث، حوالي ١٠٠٠٠ سنة من الآن، في بلاد الشام مع متغيرات في العديد من الجوانب الثقافية، التي كانت من أبرزها انتقال الإنسان من مرحلة الجمع والصيد إلى مرحلة الإنتاج، المتمثلة بالممارسات الزراعية المتنوعة وتدجين الحيوانات. فالمرحلة النطوفية المتأخرة (Late Natufian) امتازت، بناءً على مساحة وانتشار المواقع الاستيطانية، بكثافة سكانية قليلة، مثّلت جماعات بشرية قليلة العدد ومنتشرة على بقعة جغرافية واسعة. وامتازت النطوفية المتأخرة كذلك بأنماط استيطانية مختلفة منها ما أطلق عليه مخيمات للصيادين؛ إذ تمثلت المرافق المعمارية فيها ببقايا لمواقد فقط. أما النمط الاستيطاني الثاني—فقد جاء قليل العدد- إذ عكس مستوطنات شبه دائمة عُثر فيها على بقايا مبانٍ دائرية الشكل، من أبرزها موقع عين ملاحة (Valla 1995). من الناحية الاقتصادية، اعتمدت الجماعات النطوفية على الجمع والصيد، على الرغم من الاعتقاد بأن هنالك محاولة للتركيز على جمع النباتات، خاصة الحبوب البريّة، ولكن ليس ممارسة الزراعة أي تدجين الحبوب. ارتبط التحوّل الاقتصادي الأهم بشكل مباشر مع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) (Pre-Pottery Neolithic A= PPNA)، فقد خطا الإنسان الخطوات الأولى نحو الاستقرار الدائم (الجدول ١). وترافق ذلك بتغيرات تتعلق بالتقنية المستخدمة في إنتاج الأدوات الصوانية (Sayej 2004)، وعادات الدفن (Kuijt 2000; Verhoeven 2002)، وتشييد المباني السكنية الخاصة والعامة (Finlayson et al 2011; Saidel 1993; Flannery 2002)، وكذلك بظهور أنماط التخزين ووجود الفائض في الإنتاج (Kuijt 2008).

(ص ص ٧-٢٦) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

على الرغم من بوادر مرحلة الاستقرار التي امتازت بها هذه الفترة (PPNA) إلا أن مساحة المواقع الاستيطانية لم تتعد (٣) ثلاثة هكتارات للموقع ألواحد (Bar-Yosef and Gopher 1997; Kenyon and Holland 1982)؛ ما يعدُّ مؤشرا غير مباشر على محدودية عدد السكان الذين استقروا ضمن حيّز مكاني محدّد، وكذلك طبيعة الحياة الاجتماعية التي امتازت بها مجتمعات هذا العصر. فالوحدات المنزلية اتسمت باستمرارية نمط الوحدات المنزلية الذي ساد في المرحلة النطوفية. فالعديد من مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) بينت أن الإنسان استقر في بيوت دائرية أو بيضاوية في مخططها، تشابه إلى حد كبير تلك التي سادت خلال المرحلة النطوفية المتأخرة، مع بعض التجديدات كالتقسيمات الداخلية للبيوت الدائرية كما في مواقع المريبط وجرف الأحمر وتل قرامل في سورية (Cauvin 1978; Stordeur 2000; Yartah 2013: 56)، وادي بكر (ونتيف هجدود) (Bar-Yosef and Gopher وادي الفلاح (نحال اورن) (Valla 1996) في فلسطين. وشهدت بداية ظهور ما يمكن تسميته بالمباني العامة، مثل: التحصينات الدفاعية في أريحا (Kenyon 1957: 69, 195; Kenyon and Holland 1982: 18-23, Pls: 4-12)، وبرج حجري في تل قرامل (Yartah 2013: 57) بالقرب من حلب في سورية، أو في المباني الجماعية ذات الوظائف العامة في جرف الأحمر (ستوردور ٢٠٠٤: ٥-٥١، الشكلان ٥ و٦)، والعُبر ٣ (Yartah 2013: 90-93) في سورية، ووادي فينان ١٦ في الأردن (Mithen et al. 2011: 354-360, figs 4, 5 and 7).

المرحلة أو المستوى الثقافي	التاريخ قبل الآن
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ا)	١١،٠٠٠-١٢،٠٠٠
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المبكر	١٠،٥٠٠-١١،٠٠٠
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتوسط	٩،٥٠٠-١٠،٥٠٠
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتأخر	٨،٩٠٠-٩،٥٠٠
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ج)	٨،٣٠٠-٨،٩٠٠

الجدول ١: تقسيمات العصر الحجري الحديث في جنوبي بلاد الشام وتاريخها (Rollefson 2008: Table 4.1)

ما يُلفت النظر تلك التحولات التي طرأت على القرى الزراعية خلال مراحل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المبكر والمتوسط والمتأخر (هنا تمثلا EPPNB وMPPNB وLPPNB بشكل متتالٍ). فنتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في مواقع جنوبي بلاد الشام بينت أن القرى الزراعية اتسمت بالزيادة في مساحتها حيث تراوحت في المرحلة المتأخرة (LPPNB) من ١٠-١٥ هكتاراً (Rollefson 2008).

مما سبق، يتبين أن أنماط النظام الاستيطاني مع مطلع العصر الحجري الحديث اتسمت بالاختلاف، خاصة مع بداية تدجين النباتات والحيوانات؛ ما كان له الأثر الواضح في الزيادة في عدد السكان (Kuijt 2008). لذا، لعب العامل السكاني دورا مهما خلال المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب). فالزيادة في عدد السكان ارتبطت باعادة تنظيم لطبيعة العلاقات بين الوحدات المنزلية مع بعضها البعض وكذلك إعادة لهيكلة النظام الاقتصادي داخل المجتمع (Wilson 1988). إذا اخذنا هذه العوامل مجتمعة، يبقى السؤال المطروح كيف أثّر ذلك بشكل مباشر على بنية المواقع نفسها، لتتلائم مع معطيات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية الجديدة؟ وما طبيعة البنية الاجتماعية التي استمدَّ منها المجتمع نظمه والتي انعكست على بنية الموقع الاستيطاني؟

إنَّ الهدف من هذا البحث هو محاولة الربط ما بين عاملين ارتبطا مع مرحلة التحوّل إلى القرى الزراعية، وهما الزيادة في عدد السكان والبيئة البنائية والاجتماعية للموقع، من خلال خصائص المباني السكنية الخاصة والعامة. المباني السكنية الخاصة يقصد بها الوحدات المنزلية التي كانت تمارس فيها العديد من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والدينية. فدراسة الوحدات المنزلية عبر الفترات الزمنية المختلفة تضيف تصورا أدق حول الاختلافات التنظيمية لمجتمع ما من حيث التنظيم الاجتماعي وطبيعة النشاطات الاقتصادية التي مورست خلال فترة زمنية معينة.

أما المباني العامة، فيقصد بها تلك المباني التي تعكس التعاون الاجتماعي، من جهة، والتي تخدم المجموع العام

للوحدات الاجتماعية وليس الوحدة المنزلية بعينها. الأمثلة على المباني العامة ربما تشمل المعابد أو الأسوار أو الأبراج التي تعكس كذلك مجهودا جماعيا في بنائها. إضافة إلى ذلك يهدف هذا البحث إلى تحديد الاختلافات التكيفية للمجتمعات ضمن الفترة الزمنية ألواحدة لفهم التنوع في الجانب التنظيمي لها من خلال تتبع وجه الشبه والاختلاف لتلك الجماعات البشرية بمعزل عن العامل البيئي، إذا أمكن ذلك.

١- المحتوى النظري

من المتفق عليه بين علماء علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) والآثاريين بأن بداية الاستقرار الدائم في وحدات سكنية وقرى مثلت مرحلة تحول مهمة في تاريخ الإنسان. فهذا التحوّل أثّر على منظور الإنسان للفراغ، وعلى طبيعة مفهوم الوحدة المنزلية، وكذلك على طبيعة علاقة الناس مع بعضهم بعضاً؛ سواء ضمن الحيز المكاني ألواحد أو على علاقاتهم مع العالم الخارجي. تلك المتغيرات أوجدت مجموعة من النظم الاجتماعية التي أصبحت تحكم علاقة الناس فيما بينهم، مستمدة من بنية اجتماعية وثقافية جديدة (Wilson 1988). أن مجمل هذه التغيرات الثقافية أثّرت بشكل مباشر على بنية الموقع الاستيطاني site structure. المقصود ببنية الموقع هو ذلك النسق المنظم من الأجزاء التي تشمل المباني والمرافق، مثل: المدافن، والمواقد وأماكن التخزين وأماكن ممارسة النشاطات المختلفة في الساحات العامة والخاصة، وكذلك التوزيع المكاني للمادة الثقافية. هذه الأجزاء المختلفة تشكل على المستوى الأعلى من التنظيم نموذج مكاني متكامل (Binford 1983: 172).

إن هذا النموذج المكاني المتكامل يعكس بنية الموقع الذي هو التنظيم المكاني لأجزائه المختلفة التي هي بالمحصلة نتاج للسلوك وللممارسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية للمجتمع (Heinz 1997: 143). ويمكن الاستدلال على هذه الممارسات من خلال تحليل التنظيم المكاني للمباني أو المنشآت المعمارية والمرافق المختلفة وإيجاد العلاقات الوظيفية التي تربطها مع بعضها بعضاً. فتحديد الوحدات السكنية من حيث الخصائص المعمارية تزودنا بمعلومات حول طبيعة النشاطات الاقتصادية (مثل توفر أماكن للتخزين أو أماكن للتصنيع) ومدى التشابه والاختلاف بينها. ومن العوامل التي تؤثر على بنية الموقع أيضاً ذلك العامل المتمثل بالعامل السكاني. لكن قبل دراسة مدى أثر هذا العامل على بنية الموقع لا بد من تحديد المقصود بالعامل السكاني. هنالك جانبان مهمان يرتبطان بمفهوم العامل السكاني: الأول يرتبط بالزيادة السكانية بينما يرتبط الثاني بالضغط السكاني. المقصود بالزيادة السكانية هي الاطراد بعدد السكان نتيجة الولادة أي التكاثر أو نتيجة قدوم جماعات بشرية للسكن جنبا إلى جنب مع السكان الأصليين. أما الضغط السكاني فهو مؤشر إلى عدم الاكتفاء الاقتصادي للسكان نتيجة النقص بالموارد الطبيعية؛ فليس كل زيادة بعدد السكان تؤدي إلى حدوث ضغط سكاني (Kuijt 2000: 77-٧٨). السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي طبيعة التبعات الناتجة عن كل جانب؟ وما أثر ذلك على بنية الموقع؟

للإجابة على هذين السؤالين لا بد في البداية من تحديد كيفية دراسة العامل السكاني من الناحية الأثرية.

تشكل دراسة البقايا العظمية الإنسانية أو حجم الوحدات المنزلية مصدرا مهما للتعرف على عدد السكان الذين يستقرون في موقع ما. لكن الجانب الأول تحف به العديد من المشاكل البحثية لصعوبة إيجاد العلاقة بين معدل الوفيات والعمر. أما الوحدات البنائية السكنية فالمشكلة المرتبطة في توظيفها من أجل تحديد عدد السكان تكمن في معرفة فيما إذا كانت هذه الوحدات متعاصرة أم استخدمت على فترات زمنية مختلفة. على أية حال، إن تحديد عدد السكان من الجوانب الصعبة في علم الآثار السكاني، وهو يعتمد في الدرجة الأولى على الدراسات الإثنوغرافية التي بدورها بينت التفاوت والاختلاف في عدد الأفراد للوحدة المنزلية ألواحدة من موقع إلى آخر (Kramer 1982; Watson 1979). لكن من الممكن الربط ما بين الكثافة السكانية في موقع ما مع حجم الموقع الاستيطاني. لذا، من المهم بالدرجة الأولى ادراج مساحة المواقع العائدة لنفس الفترة الزمنية لنتمكن من إجراء مقارنة بين العامِلَين الناتجين للكثافة السكانية وأثرهما على بنية الموقع.

في هذه الدراسة، سوف يتم التركيز على العامل السكاني بشقيه الزيادة السكانية والضغط السكاني، كمؤشر يحكم طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وكذلك انعكاسه من خلال النشاطات الاقتصادية والميكانيكية التنظيمية، التي تتولد نتيجة الزيادة السكانية والاستقرار من حيّز مكاني محدد وأثرهما على بنية الموقع الاستيطاني.

٢- بنية المواقع الاستيطانية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري في جنوبي بلاد الشام

بناءاً على استعراض مجمل المتغيرات الثقافية التي ترافقت مع بداية استقرار الإنسان في قرى دائمة، سوف يتم تحليل مجمل الأجزاء المكونة للموقع الاستيطاني لكل فترة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري. وسيتم التعامل مع كل فترة على حده مركّزا على المنشآت المعمارية- السكنية الخاصة والعامة- وطبيعة أنماط التخزين وكذلك النشاطات الاقتصادية، خاصة التي تعكس توزيعا مكانيا محددا. هذه الأجزاء مجتمعة تشكل الأسس التي يمكن الاعتماد عليها من أجل استنتاج البنية الاجتماعية الثقافية المرتبطة مع القرى الدائمة لكل مرحلة من مراحل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري وطبيعة التحوّلات التي طرأت على هذه القرى عبر المراحل المختلفة (الخريطة ١). هذا يقودنا بالتالي إلى تحليل طبيعة التحولات الاجتماعية التي طرأت على مجتمعات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري في جنوب بلاد الشام.

٢- ١ بنية المواقع خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ)

تعد فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) من الفترات المهمة لدارسة النوى الأولى لبناء القرى واستقرار الإنسان في وحدات بنائية شبه دائمة، بحيث تجلت معالم القرية بشكل أكثر وضوحا مقارنة مع الفترة النطوفية المتأخرة. فالحفريات الأثرية التي أُجريت في العديد من مواقع هذه الفترة أبرزت تنوّعاً معلوماتياً حول الخصائص الثقافية لهذه االفترة. فعلى الصعيد الاقتصادي، مارس

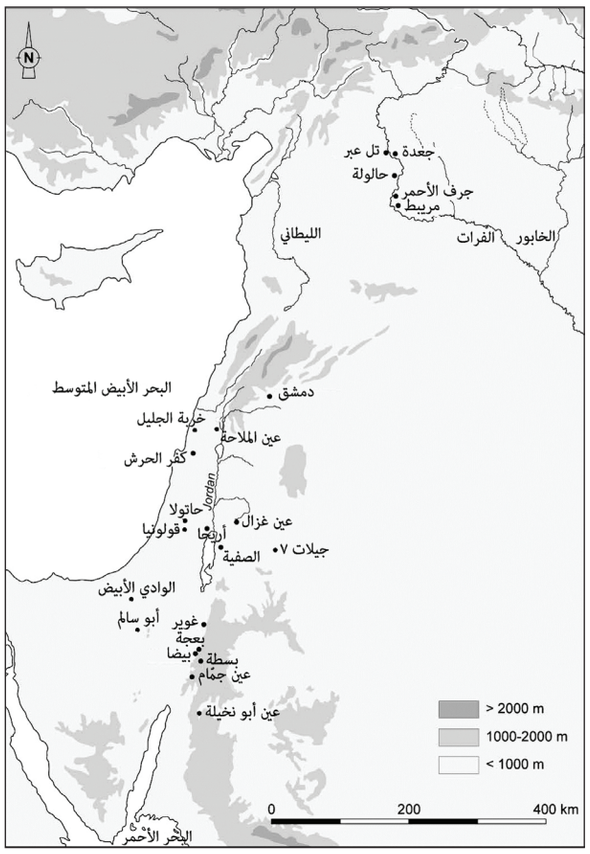

الخريطة ١: أهم مواقع العصر الحجري الحديث مدار البحث.

سكان العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) نمطا اقتصاديا يعتمد في الدرجة الأولى على جمع الحبوب البرية وصيد الحيوانات البرية (احتمالية ممارسة الزراعة في موقعي وادي فينان ١٦ وعراق الدب لم تؤكدها الدراسات المخبرية للبقايا النباتية، بسبب الخلط لنتاتج لتلك البقايا نتيجة استيطان الموقع في فترات متأخرة، انظر Jenkins et al 2011). لكن ما يميز الممارسات الاقتصادية عن تلك التي سادت خلال الفترة النطوفية هو الاعتماد بشكل أكبر على جمع الحبوب البرية كما تشير إلى ذلك العديد من المناجل الصوانية، وأدوات الطحن التي عثر عليها في هذه المواقع أو تلك الحفر المنحوتة في الصخرالتي فسرت على كونها مرافق لطحن الحبوب (Noy 1979). هذا من جانب، أما الجانب الملفت للنظر فيتمثل بالأنماط الاستيطانية لمواقع هذه الفترة. فالجماعات البشرية في جنوبي بلاد الشام استقرت في الحزم البيئية المختلفة لهذه المنطقة. فمنها ما استوطن، على سبيل المثال، في بيئة البحر الأبيض

المتوسط مثل: عراق الدب (Kuijt et al., 1991; Palumbo et al., 1990)، وهاتولا (Lechevallier et al 1989)؛ أو البيئة شبه الجافة مثل: جيشر (Garfinkel and Dag 2006)، ووادي البكر (نتيف هجدود) (Bar-Yosef et al., 1980)، وأريحا (Kenyon 1957)، وجلجال ١ (Noy 1989; Noy et al., 1980: 63-82) ومنطقة حوض البحر الميت مثل ظهرة الذراع ٢ (Edwards et al., 2002a; 2002b; 2004)، والذراع (Kuijt and Finlayson 2002; 2001)، ووادي فينان ١٦ (Finlayson et al., 2010; Finlayson and Mithen 2007)، وأخيرا المنطقة الصحراوية مثل: أبو ماضي (Herskhovitz et al., 1994).

التنوع في الأنماط الاستيطانية يساعد على فهم العلاقة ما بين المجموعات البشرية والبيئة من جهة وكيف انعكس ذلك على البنية الاجتماعية لهذه الجماعات. أما فيما يتعلق بطبيعة المواقع الاستيطانية فجاءت إما داخل الكهوف (Caves)، أو بالقرب من مصاطب الكهوف (Cave terrace) أو في مواقع مكشوفة (Open-sites).

لقد تفاوتت مساحات القرى الأولى التي شكلت الحيز المكاني للمجتمعات التي استقرت فيها. ففي الغالب لم تتعدَ هذه القرى ٢-٣ هكتارات في مساحته، مثل: أريحا، وجلجال ووادي بكر؛ أو مواقع صغيرة المساحة، مثل: عراق الدب، وعين دارات (٢٠٠٠ م٢ أو ٧٠٠-٩٠٠م٢). على أية حال، فإن مساحة مواقع هذه الفترة لهو مؤشر على قلة عدد السكان الذين استقروا في هذه القرى. أما مخطط الوحدات السكنية التي تميزت بها هذه القرى فجاءت في الغالب دائرية أو بيضوية الشكل عكستا استمرارية من حيث المخطط عن المرحلة النطوفية المتأخرة (الشكل ١)، واتسمت أيضا بصغر مساحتها، فلم تتعدَ تسعة أمتار في قطرها كما في عين الملاحة، في حين جاء بعضها الآخر أصغر مساحة (٣-٥ م)، كما هو الحال في عراق الدب وعين دارات (Gopher 1995; 1996; Kuijt 2004).

تمثّلت المرافق التي وجدت داخل الوحدات المنزلية بالمواقد والمصاطب الدائرية الشكل ومطاحن محفورة في الصخر (Cup-holes)، وأحيانا مرافق على شكل صناديق من الطوب أو المشيّدة من الحجارة، استخدمت للتخزين

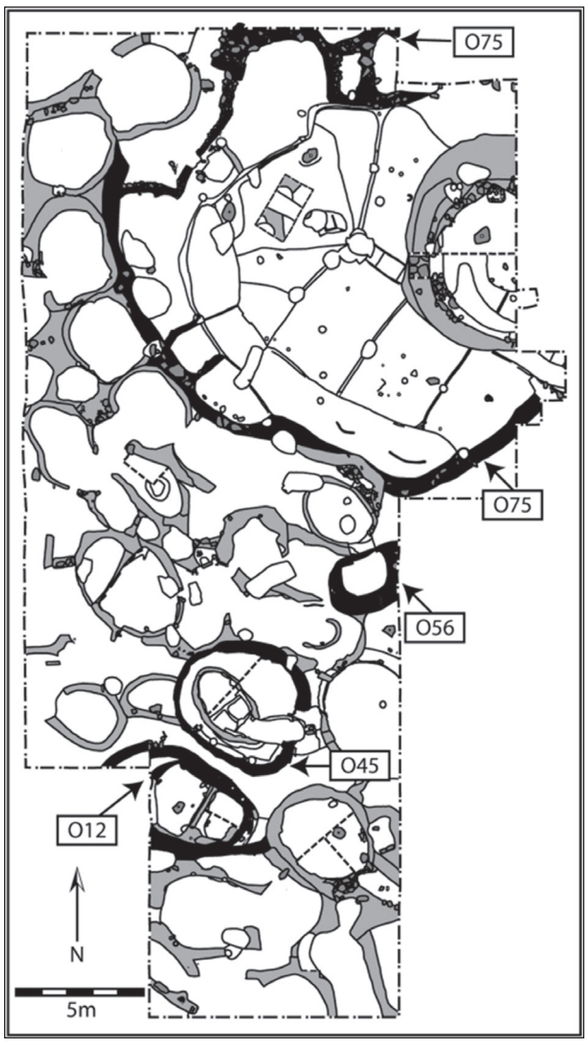

الشكل ١: تمثل بنية الموقع في وادي فينان ١٦، العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) (Finlayson et al. 2011: Fig. 2)

كما هو الحال في أريحا ووادي البكر. ومن المرافق المهمة التي يمكن الحديث عنها كذلك، تلك المتمثلة بحفر الدفن. إذ عثر في معظم مواقع هذه العصر، مثل: أريحا، ووادي البكر، وجلجال ١، ووادي الفلاح (نحال اورن)، واللطرون، وهاتولا، وعراق الدب، ووادي فينان١٦، وظهرة الذراع ٢، على مدافن أسفل أرضيات البيوت، ضمت هياكل بشرية فردية أو جماعية، أو اقتصرت الموجودات على جماجم مفصولة أو فكوك سفلية، كما احتوت بعض المدافن على مرفقات جنائزية تمثلت بأدوات صوانية وعظام حيوانية، وأدوات زينة (أبو غنيمة ٢٠٠١: ٤-٧).

لم يقتصر الحيز المكاني المخصص للدفن على أسفل

أرضيات البيوت بل شمل أيضا الفراغ المكاني بين هذه البيوت، كما هو الحال في وادي البكر (Belfer-Cohen and Arensburg 1997: 201-208). إن الدلالات الثقافية على هذه المدافن إضافة إلى مرافق التخزين لهما مرفقين مهمين سوف يتم مناقشتهما عند الحديث عن الخصائص البنيوية لقرى هذه الفترة.

أما المرافق التي توضعت خارج الوحدة السكنية فتمثلت بحفر الخزين؟ ومكبات النفايات التي وجدت كذلك داخل المباني المهجورة (Kuijt 2004; Kuijt and Goodale 2006).

يتمثل المستوى الأعلى من التنظيم المكاني للقرى المبكرة بالمباني العامة. إن ما يميز العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري(أ) عن المرحلة النطوفية المتأخرة هو التنوع في المباني ذات الوظائف العامة التي تعكس التعاون الاجتماعي في تشييدها، مثل: الخندق، والبرج، والسور؛ التي تم الكشف عنها في أريحا (Kenyon and Holland 1982). المميز في هذه المنشآت العامة ليس خصائصها الفيزيائية فقط وإنما ماهية المرافق التي تمركزت مكانيا حولها ومدلولاتها الثقافية. وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في محيط البرج في أريحا على عدد من الغرف الدائرية الشكل، فُسرت على كونها استخدمت للخزين. كما عُثر حول منطقة البرج على عدد من المدافن، وفي فترة لاحقة استخدم البرج كمكان للدفن كذلك. ويعد هذا مؤشراً على احتمالية اعتبار المنطقة المحيطة بالبرج مكانا ذا صبغة طقوسية.

كما يرى بعض الباحثيين أنه يمكن إدراج غرف التخزين تحت ما يسمى المباني العامة. فقد عثر في بعض مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ)، مثل: وادي فينان ١٦ والذراع في الأردن، وجلجال ١ ووادي البكر في فلسطين، على غرف فُسرت من قبل المنقبيين بكونها استخدمت لتخزين الحبوب مثل الشعير والشوفان في جلجال ١. وتميزت هذه الغرف عن غيرها بوجود مصطبة مرتفعة مبنية من ألواح حجرية ومغطاة بجذوع الأخشاب (Finaylson et al 2011; Kuijt and Finlayson 2009).

٢-٢ بنية المواقع خلال العصر الحجري الحديث

ما قبل الفخاري (ب) المبكر (EPPNB)

ما تزال معلوماتنا عن هذه المرحلة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري قليلة. لذا، نجد الجدل بين علماء الآثار العاملين في جنوبي بلاد الشام ما بين مؤيد لوجود ما يسمى مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المبكر (Goring-Morris and Belfer-Cohen 1998)، بينما يشكك فريق آخر من الباحثيين الآثاريين في وجودها (Kuijt 1998). على أية حال، ما يمكن القول حول هذه المرحلة لغاية الآن قليل نسبيا، مقارنة بالفترة اللاحقة (العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المتوسط). ومن أهم المواقع التي تم الكشف عنها والمؤرخة لهذه المرحلة موقع قالونيا (موتزا) (Khalaily et al 2007) بالقرب من القدس، وخربة الجليل شمالي فلسطين (Gopher 1997; 1989)، وأبو هدد (Rollefson 1996) وجبل قويسا جنوبي الأردن (Kuijt and Chesson1994) وجيلات ٧ في البادية الأردنية (Zarins 2000: 80)، إضافة إلى مواقع منطقة النقب، مثل: أبو سالم، ونحال بوكر، والوادي الأبيض ١٠٩ (نحال لافان ١٠٩) (Gopher and Goring-Morris 1998). هذه المواقع توزعت في بيئتين رئيستين، هما: بيئة البحر المتوسط، والبيئة الجافة (مثل النقب والبادية الأردنية).

امتازت مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المبكر (EPPNB) بوجود نمطين من الوحدات المعمارية. النمط الأول وهو استمرارية للنمط الذي شاع خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ)، والذي يمتاز بالوحدات المعمارية الدائرية أو البيضاوية الشكل (مثل مواقع النقب والبادية الأردنية). أما النمط الثاني، فقد جاء بشكل مستطيل، ولكن زوايا المبنى كانت دائرية (مثل خربة الجليل، وأبو هدهد وقالونيا (المرحلة المتأخرة) (Khalaily et al 2007; Sapir-Hen et al 2009). هذا على الرغم من الاعتقاد بأن موقعي قالونيا وخربة الجليل عثر فيهما على وحدات معمارية مستطيلة الشكل وأرضياتها من الجبص (Khalaily et al 2007: 9-10; Gopher 1997).

من المواقع التي تساعد في فهم التنظيم المكاني خلال المرحلة المبكرة هو موقع أبو سالم في منطقة النقب

(Gopher and Goring-Morris 1998). فالوحدات البنائية التي كُشف عنها كانت بيضوية أو دائرية في مخططها (١,٢-١,٧ م في قطرها) ومتلاصقة مع بعضها بعضاً. تتبع بعض هذه المباني ساحة مساحتها تبلغ (٣م٢). ما تجدر الإشارة إليه بأن هذه الوحدات كانت خالية من المواقد، وكذلك ربما تم غلق مداخلها بشكل مؤقت، ما يشير إلى طبيعة استخدامها الموسمي. أما المرافق التي تم الكشف عنها فتمثلت بحفرة دائرية الشكل مرصوفة بالحجارة (فسرت على كونها حفرة للتخزين أو موقد) (Gopher :5-7 and Goring-Morris 1998).

فيما يتعلق ببنية المواقع في بيئة البحر المتوسط فإن معلوماتنا ما تزال قليلة. يمكن القول إن موقع موتزا يعكس جانبا من بنية المواقع. فمراحل الاستيطان المختلفة خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المبكر عكست تحوّل من المباني الدائرية أو ذات الزاوية الدائرية إلى المباني المستطيلة وأرضياتها من الجص المغطاة بطبقة من الدهان الأحمر. ترافقت مع هذه المباني أماكن مخصصة للدفن خاصة التي عثر عليها في الساحات وتحت أرضيات البيوت (دفن أولي وثانوي) ومواقد وساحات (Khalaily et al 2007: 9).

٢-٣ بنية المواقع خلال العصر الحجري ما قبل الفخاري ب المتوسط (MPPNB):

يعد العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المتوسط مرحلة تبلور القرى الزراعية بشكل واضح، إذ أمكن ملاحظة ذلك من خلال حجم القرى الزراعية وطبيعة الممارسات الاقتصادية (تدجين النبات واستئناس الحيوانات) وكذلك تبلور الوحدات السكنية ذات الزوايا القائمة.

امتازت مواقع هذه الفترة بالتنوع البيئي والبنيوي؛ فمن حيث الجانب البيئي عثر على العديد من المواقع التي استقر فيها الإنسان في بيئة ذات مناخ جاف وبمعدل تساقط للأمطار يرواح بين ٥٠-١٠٠ ملم. هذا المحتوى البيئي يضم كلاً من الجزء الشرقي من الأردن، مثل: الأزرق والبادية، والجزء الجنوبي، مثل: منطقة وادي رم والجفر. أما في فلسطين فيضم منطقة النقب وسيناء.

المواقع التي تمثل هذه البيئة تشمل جيلات ٧، عين أبو نخيلة، غوير١، وشكارة مسيعد في الأردن ونحال ايسارون وعين قادس ١ ونحال روئيل في فلسطين. أما المحتوى البيئي -المناخي الثاني فيتمثل ببيئة البحر المتوسط التي تشمل في الدرجة الأولى منطقة المرتفعات الجبلية الأردنية، مثل: مرتفعات عمان وعجلون والسلط، والمرتفعات الفلسطينية، مثل: الجليل ونابلس والقدس. المواقع التي عثر عليها في بيئة المتوسط تتمثل في: عين غزال ووادي شعيب وخربة الخالدية (يفتاحيل) وكفرالحرش (كفار هاهوريش).

وفيما يتعلق بالعلاقة بين مساحة الموقع والكثافة السكانية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المتوسط فيمكن القول إن هنالك تفاوتاً في مساحة المواقع. بعض المواقع مثل غوير ١ لم تتجاوز مساحته ١,٢ هكتار في بعضها الآخر لا يتعدى ١ هكتار مثل كفر الحرش. أما المواقع الكبيرة فجاءت بمساحة ٤,٥ -٥ هكتار مثل عين غزال.

يعد موقع غوير ١ في جنوبي الأردن من المواقع التي يمكن تتبع التغيرات في طبيعة الوحدات المنزلية ضمن العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتوسط. تضمنت المباني السكنية التي عثر عليها ثلاث مراحل سكنية؛ تميزت المرحلة الأولى بوجود غرف واسعة (١٠ X ١٠م) مبنية من الحجارة الغفل. وشملت المرافق التي وجدت داخل الغرف المواقد ومرافق التخزين المجصصة (Simmons and Najjar 2006: 81-82). وشهدت المرحلة الاستيطانية الثانية تغيراً في نمط الوحدات المنزلية التي كانت سائدة في المرحلة الأولى؛ إذ قُسّمت الغرف الكبيرة (١٠ X ١٠) العائدة إلى المرحلة الأولى إلى غرف أصغر مساحة (٤ X ٤م). وما يميز هذه المرحلة التغير في بنية الموقع والوحدات البنائية، إذ احتوى الموقع على مجموعة من الوحدات البنائية التي يفصلها عن بعضها بعضاً ممرات ضيّقة أو أزقة. وأصبحت الوحدة البنائية لا تمثل غرفة واحدة فقط، وإنما غرفة رئيسة يلتصق بها عدد من الغرف الصغيرة الحجم. الأمثلة جاءت مما يسمى المجمع المعماري ١ في المنطقة ١ في غوير. يمثل هذا المجمع غرفة كبيرة الحجم تحوي جدرانها الجنوبية والغربية على عدد من الحنايا (مساحتها

٢٠X٤٠X٦٠سم). إضافة إلى ذلك، وفي الجهة الغربية من الغرفة توضع مصطبة مجصصة ومرفق يشبه النافذة، وفي الجهة الجنوبية توضع كذلك ما يشبه الحفرة؛ وإضافة إلى الغرفة الرئيسة عُثر ملاصقا لها على ثمانية غرف صغيرة المساحة متصلة مع بعضها بعضاً من الداخل، ومنظمة بحيث تلتصق ثلاث أو أربع غرف مع بعضها بعضاً. المجمعات المعمارية الأخرى جاءت متشابهه مع هذا النمط؛ ارتبط مع إحدى التجمعات المعمارية المكونة من غرفة رئيسة وغرف صغيرة في غوير ١ إحدى الغرف التي احتوت على جمجمة لثور وجدت مباشرة على أرضية الغرفة، ما يشير إلى إمكانية تعليقها على الجدران، إضافة إلى مجموعة من النصال ورؤوس السهام والمدقات. أما أسفل الأرضية فقد عثر على مدفن لطفل. هذه المخلفات الأثرية مجتمعة تبرز أهمية هذه الوحدات المعمارية ووظيفتها المتعلقة بالطقوس الدينية (Simmons and Najjar 2007;Simmons and Najjar 2006: 83).

أما في المرحلة الثالثة في غوير ١ فقد امتازت كذلك بتقسيم الغرف داخليا إلى أخرى أصغر حجما. هذه الوحدات المعمارية اتسمت بكونها منفصلة عن الوحدات الأخرى عن طريق الأزقة أو الممرات. إنَّ ما يميز هذه المرحلة من غوير ١ هو وجود ما يسمى الوحدات ذات الطابقين، بحيث يحتوي الطابق السفلي على غرف صغيرة الحجم ترتبط مع بعضها بعضاً عن طريق نوافذ ضيقة وبعضها كان نافذا إلى الخارج. أما الطابق العلوي فيمثل المنطقة المخصصة للنشاطات الأخرى. في الغالب تكونت كل وحدة معمارية مستقلة من ٥-٦ غرف صغيرة المساحة (Simmons and Najjar 2006: 83-84). يميز هذه المرحلة أيضا إضافة الغرف الصغيرة إلى غرف كانت قائمة.

أما موقع عين أبو نخيلة فيمثل نمطاً تنظيمياً للمكان، مقارنة مع غوير ١، إذ تم الكشف عن ١٢ وحدة معمارية في الموقع (الشكل ٢). وبنيت الوحدات المعمارية بشكل جزئي تحت مستوى سطح الأرض وبعضها احتوى على مرافق – Features– مبنية من الحجارة وأحيانا تم تقسيم بعض الوحدات من الداخل بواسطة جدران جاء ارتفاعها مشابها لارتفاع الجدران الخارجية للوحدة المعمارية.

تاريخ الموقع أو تطوره: أمكن تتبع ذلك عبر ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى اتسمت بعدم وجود المباني، بمعنى لم يتم تشييد أي مرافق معمارية خلال هذه المرحلة (Henry et al 2003: 10-11)؛ وفي المرحلة الثانية تم تشييد المباني داخل حفر وباستخدام ألواح حجرية عمودية في البناء؛ أما المرحلة الثالثة فتميزت بتقنية معمارية جديدة، إذ استُعيض عن الألواح الحجرية العمودية بأخرى أفقية. على أي حال تنقصنا المعلومات التي تبين طبيعة بنية الموقع خلال المرحلة الأولى. ولكن يمكن القول إن الموقع استوطن لمدة قرنين أو ثلاثة قرون، كما يبين ذلك تواريخ الكربون المشع والتجانس في المادة الثقافية، خاصة الأدوات الصوانية (تحديدا رؤوس السهام التي غلبت عليها ما يسمى (رؤوس سهام العمق) (Henry 2005: 358).

المُلفت للنظر أن الارضيات قد شُيّدت على أنواع ثلاثة: بعضها أظهر استخدام ألواح حجرية، والثاني رصفة من الحجارة الحصوية، والثالث التراب المدكوك. وتشير الدلائل إلى أن المواقد التي عُثر عليها في بعض الوحدات البنائية مرتبطة بأدوات لطحن الحبوب (Henry et al 2003: 8). ويلاحظ في موقع عين أبو نخيلة أن الوحدات البنائية التي عُثر عليها لا تُظهر تشابها فيما بينها، خاصة طبيعة التقسيمات الداخلية للوحدة البنائية الواحدة أي التصميم المعماري أو طريقة البناء. على أي حال إن دراسة بنية الموقع تشير إلى النمط شبه الدائري في البناء وإن الوحدات البنائية اتسمت بتلاصق الجدران مع بعضها بعضاً. فبنية الموقع من حيث المخطط تشير إلى أن الوحدات البنائية كانت تشكل كتلة واحدة. تختلف فيما بينها من حيث المساحة والمرافق البنائية الداخلية (مثل مناطق التخزين). ما يميز موقع أبو نخيلة عدم وجود وحدات منزلية متخصصة بإنتاج حرف معينة مثل الأدوات الصوانية المصنعة من نواة تشبه السفينة؛ وكذلك التشابه في توزيع أدوات الطحن في الوحدات المنزلية، ما يشير إلى وجود تشابه في نمط الاستهلاك والإنتاج بين الوحدات، وبالتالي إلى غياب الاختلافات الاجتماعية بين الوحدات المنزلية (Kadowaki 2012: 14).

العلاقة المكانية بين الوحدات المعمارية في أبو نخيلة

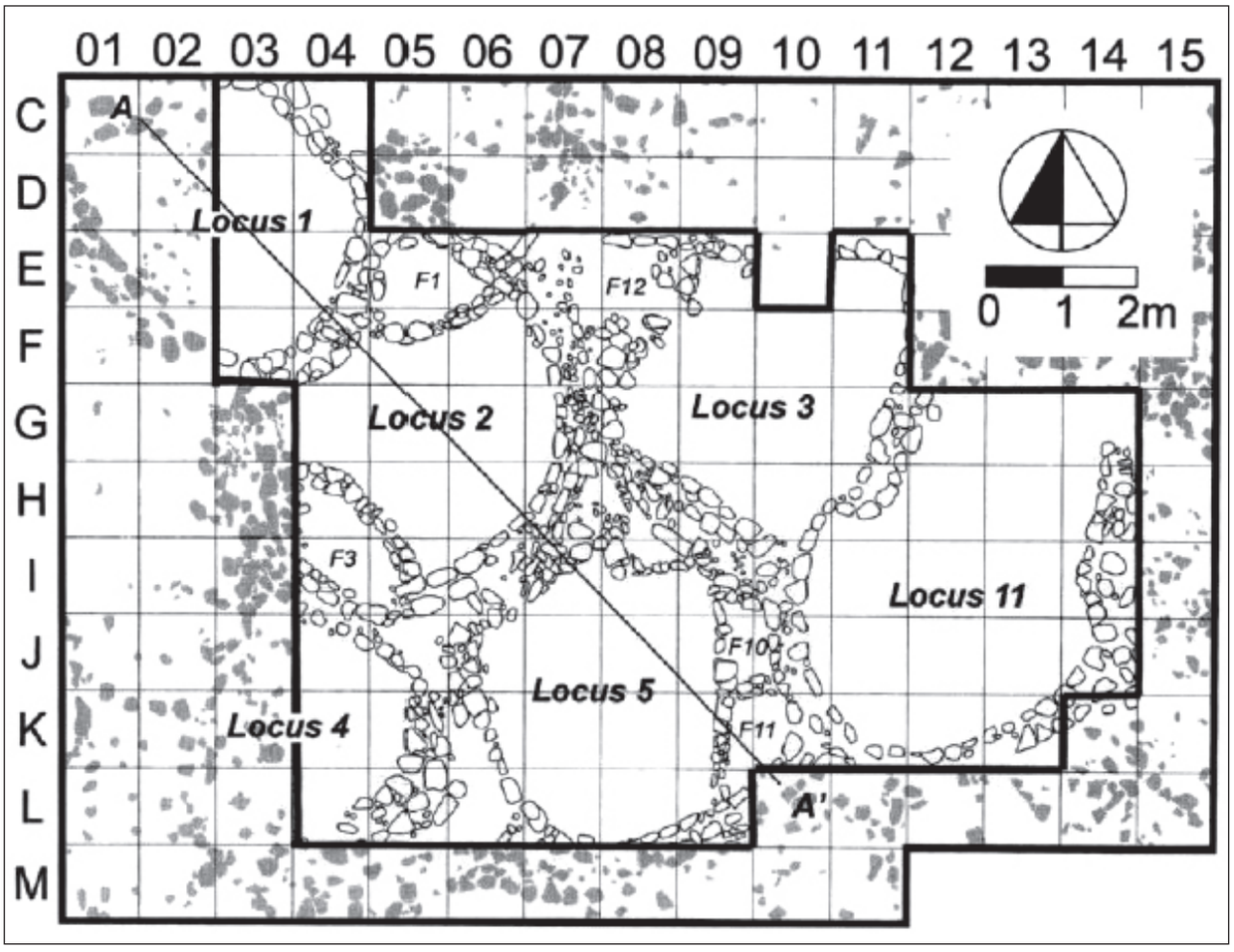

الشكل ٢: المباني السكنية في موقع عين أبو نخيلة (العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتوسط (Henry et al. 2003: fig.5)

غير واضحة نتيجة عدم العثور على مداخل لهذه الوحدات، ما يجعل تحديد العلاقة بينهما صعبة. غير أن دراسة التوزيع المكاني للمخلفات الأثرية والمرافق (مثل المواقد) أشارت إلى وجود نمط الوحدات المنزلية النووية المستقلة اقتصاديا (Henry et al 2014: 412-418).

عثر في بعض المواقع في منطقة النقب (مثل أبو سالم) وسيناء (مثل وادي الطبيق) على شواهد معمارية تبين طبيعة المداخل للوحدات المنزلية في المناطق الجافة التي جاءت مداخلها بشكل إما مرتفع أو عبارة عن مدخل من السقف.

أما في فلسطين، فموقع نحال روؤئيل (MPPNB) في النقب الجنوبي يعد مهما في دراسة بنية المواقع العائدة لهذا العصر ضمن البيئة الجافة؛ إذ يمثل هذا الموقع مرحلة استيطانية واحدة اعتمد السكان فيها في الدرجة الأولى على الصيد. المباني تمثلت بوحدات معمارية دائرية الشكل متلاصقة مع بعضها بعضاً. تتوسط هذه الوحدات المعمارية ساحة. تمثلت المرافق التي عثر عليها في بعض الوحدات المعمارية بحفرة مستطيلة الشكل ومرصوفة بالحجارة، وكذلك حفرة بقطر ٢م وبعمق ٥٠ سم كانت مليئة بالرماد والحجارة. وظيفيا، وبالاعتماد على المخلفات الأثرية والعلاقة المكانية بين هذه المخلفات يمكن القول إن الموقع كان يضم المنطقة المخصصة لإنتاج الأدوات (الجزء الشمالي)، والجزء المخصص لطرح النفايات (الجزء الجنوبي) (Ronen et al 1999: 15).

الأمثلة على بنية الموقع في ظروف بيئية مختلفة

يمكن مقارنة المواقع التي توضع في المنطقة الشرقية (جيلات ٧) والجنوبية من الأردن (عين أبو نخيلة، شكارة مسيعد، بيضا، غوير ١) مع تلك المستوطنات التي وجدت في صحراء سيناء أو النقب. هذه المجموعة من المواقع سوف تشكل قاعدة معلوماتية للمقارنة مع المواقع التي وجدت فيما يسمى إقليم مناخ البحر المتوسط، مثل: عين غزال، ووادي شعيب.

لقد أمكن تحديد العديد من النشاطات التصنيعية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتوسط، والتي تعكس التخصصية وتموضع هذه النشاطات ضمن حيز مكاني محدد. فقد دلت دراسة الأنوية ومخلفات التصنيع والأدوات من حيث توزيعها المكاني في عين غزال على وجود نمطين من الإنتاج خلال هذه الفترة: النمط الأول، تم إنتاج النصال من خلال الأنوية المعروفة باسم على شكل السفينة (Naviform). هذا النمط تمركز إنتاجه في جزء محدد من الموقع مشيرا إلى وجود تخصصية في الإنتاج مرتبط مع بعض الوحدات المنزلية؛ أما النمط الثاني، فتمثل بإنتاج عام قد مورس من قبل العديد من الأفراد على مستوى المجتمع (Quintero 2011). أماكن التخصص خاصة المتعلقة بإنتاج أدوات مثل الحليّ كما هو الحال في بواب الغزال وشقارة مسيعد (Hermansen et al., 2006). كما أشارت نتائج التنقيبات الأثرية في السويتان الثالثة والثانية في موقع البيضا إلى وجود مبانٍ أطلق عليها اسم (مباني الممرات) يُعتقد أنها استُخدمت لغايات التصنيع وليس للسكن؛ إذ تتميز هذه المباني بأنها مشيّدة على ممر طويل، صُفّت على جانبي الممر مجموعة من الغرف الصغيرة المساحة (١ X ١،٥م)، وتحتوي على موجودات متنوعة تشمل قطع صوانية وحجرية وعظام حيوانية وصدف وبازلت وغيرها، ما يشير إلى استخدام هذه الغرف كأماكن صناعية وتجارية (Kirkbride 1966).

من التغيرات الأخرى التي ارتبطت مع فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتوسط ممارسات أو نظام التخزين (Bartl 2003). وقد استمدت معلوماتنا عن نظام التخزين خلال هذه المرحلة من مواقع مثل خربة الخالدية (يفتاحيل) (Garfinkel 1987)، وأريحا (Kenyon and Holland 1982)، وعين غزال (Rollefson et al 1992)، وغوير ١ (Simmons and Najjar 2006). إذ أمكن التعرف على عدة أنماط من مرافق التخزين في هذه المواقع. شملت مرافق، هي: صندوق مبني من الطوب وجد داخل الغرف (خربة الخالدية وأريحا)، وحفر مجصصة (بقطر ٧٠ سم)؛ أما النمط الآخر فتمثل بكونه ما يشبه الغرفة الصغيرة (٢ X ٢م) (Bartl 2003: 279)، أو غرف تخزين شيدت داخل الغرفة الرئيسة في إحدى الزوايا عن طريق إضافة أعمدة، كما في عين غزال.

١-٣-٢ المباني غيرالسكنية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتوسط

على الرغم من التشابه في النمط العام الثقافي لهذه الفترة من العصر الحجري الحديث إلا إن الاختلاف في الخصوصية الثقافية لبعض المواقع انعكس من خلال ما يسمى المباني أو المرافق غير السكنية. فقد زودتنا المواقع التالية ببعض الجوانب التي تعكس هذه الخصوصية، مثل: غوير ١، وكفر الحرش، وشكارة مسيعد، وبيضا. ففي موقع كفر الحرش (مساحته ١-٠,٧٥ هكتار) تم تقسيم الفراغ المكاني إلى أربع مناطق تختلف وظيفيا عن بعضها بعضاً: المنطقة الأولى مخصصة للإنتاج (أفران لإنتاج الجص والأدوات الصوانية)، المنطقة الثانية مخصصة لطرح النفايات مثل العظام المحروقة والرماد؛ أما المنطقة الثالثة فمخصصة لممارسة الشعائر أو الطقوس الدينية (تحتوي على بقايا لمواقد محددة بالحجارة وحجارة منتصبة)؛ في حين خصصت المنطقة الرابعة لأغراض الدفن (تمثل طبقة من الجص تغطي عدداً من المدافن الفردية أو الجماعية وجدت بشكل جماعي أو فردي) (Goring-Morris and Horwitz 2007: 904). يفتقر الموقع إلى وجود وحدات سكنية مستطيلة الشكل أو غيرها؛ إنما بوجود جدران تأخذ شكل L اللاتيني ربما استخدمت كنوع من تحديد مكان للمدافن أو لحمايته من الانجرافات. إن ما يميز كفر الحرش هو طبيعة العلاقة التي وجدت بين عادات الدفن واستخدام الثيران في الطقوس المرتبطة بالدفن. فقد عُثر على نحو٦٠ هيكلا عظميا تعود لكلا الجنسين ووجد نحو ١٥ هيكلا عظميا من دون جمجمة. أما بعض الجماجم فقد

تم معالجتها بالتجصيص (Goring-Morris and Horwitz ٢٠٠٧: ٩٠٤). يعتقد بأن موقع كفر الحرش ربما كان يمثل مركزاً للدفن يخدم العديد من القرى المجاورة.

من الوحدات المعمارية التي تندرج تحت مسمى (العمائر غير السكنية) تلك التي كُشف النقاب عنها في غوير١. إذ تمثلت بوجود ممر درج، يشتمل على خمس درجات حجرية عريضة على الأقل، يؤدي الممر إلى ساحة مفتوحة أرضيتها من التراب المدكوك (Simmons and Najjar 2006: 84; 2007: 236, fig. 2). من المعالم المعمارية الأخرى التي تعكس بنية الموقع خلال هذه المرحلة، غرفة جاءت على شكل حرف D اللاتيني تختلف في مخططاتها عن الغرف الأخرى، وكذلك مرافق أخرى مرتبطة بها والمتمثلة بوجود قطعة حجرية منبسطة عليها آثار حرق، وهي متداخلة أو ملتصقة مع أحد الجدران. إلى الأمام من هذا المرفق توضع ما يشبه الموقد وبالقرب منه عُثر على دمية من الصلصال لحيوان. ما يشير إلى احتمالية كون القطعة الحجرية مذبحاً (Simmons and Najjar 2006: 84).

أما في شكارة مسيعد، فإن التنظيم المكاني للقرية ارتبط بوجود مبانٍ مخصصة للدفن الجماعي (Hermansen et al. 2006). حيث عثر في المبنى الدائري (F) البالغة مساحته ٢٥ متر مربعاً على ما يقارب ١٥ هيكل عظمي. الملفت للنظر في شكارة مسيعد أن عملية الدفن تمت داخل صناديق حجرية تحت أرضية المبنى ضم بعضها ثمانية هياكل عظمية (Hermansen et al. 2006: 3-4). إن احتواء المبنى على هذا العدد من المدافن حذا بالمنقبين إلى عدّه مبنى مخصصا لشعائر الدفن.

٤-٢: بنية المواقع خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري المتأخر (LPPNB)

تمثلت مرحلة الانتقال إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتأخر بالعديد من التحولات الثقافية التي عكست بشكل ما مرحلة التبلور الثقافي للقرى الزراعية المبكرة (Rollefson 2008). فالشواهد المعمارية تشير إلى إعادة هيكلة النظم الاجتماعية وظهور دور مختلف للمباني الدينية والتنوّع في الجانب الاقتصادي الذي عكس ظهور أنماط اقتصادية جديدة داخل المجتمع. هذه التحولات الثقافية انعكست بشكل مباشر على بنية المواقع الاستيطانية متمثلة في أنماط المباني السكنية والدينية وتوزيعها المكاني. فمواقع هذه الفترة امتازت بكبر حجمها الذي تعدى ١٠ هكتارات من حيث المساحة (مثل: عين غزال، وادي شعيب، عين جمام، الصفية، البسطة). إن الزيادة في حجم هذه المواقع لهو مؤشر إلى الكثافة السكانية التي اتسمت بالزيادة مقارنة مع الفترات السابقة. إذا بدأنا في توضيح بنية الموقع فلا بد من استعراض التغيرات التي طرأت على طبيعة الوحدات المنزلية وأنماطها. في المنطقة الجنوبية من الأردن خاصة في مواقع مثل بسطة وعين الجمام، إذ نلاحظ أن مخطط الوحدة المنزلية اتسم بالمخطط المستطيل المكون من العديد من الغرف الصغيرة (٠,٨ في ١,٧م) التي تحيط بغرفة واسعة (مساحتها ٣,٥ في ٤,٧م) (Fino 2004: 105-111).

أما الوحدة المنزلية في بعض المواقع مثل بسطة والصفية فتمثلت في مخططها بكونه يحتوي على ساحة (Courtyard) تحيط بها العديد من الغرف الصغيرة الحجم يصل لـ ١٧ غرفة (بعضها بلغت مساحتها ١م مربع). الملفت للنظر في بسطة وجود طابق ثانٍ فوق مجموعة من الغرف الصغيرة الحجم التي ربما استخدمت لأغراض التخزين أو لنشاطات تصنيع الأدوات (Nissen 2006; Nissen et al 1991).

هذا النمط من الوحدات المنزلية يختلف عما تم ممارسته في بناء الوحدات المنزلية في عين غزال. على ما يبدو أن سكان عين غزال مارسوا تقسيم الغرفة الرئيسية للوصول إلى وحدة منزلية مكوّنة من عدة غرف صغيرة الحجم تراوح ما بين ١-٢,٤ متر مربع (Rollefson and Kafafi 1997: 30) إضافة إلى بعض الوحدات المنزلية المكونة من طابقين والتي أصبحت أكثر شيوعاً في هذه المرحلة (بعجة وعين جمام..). على أية حال إن الخصوصية الثقافية فيما يتعلق بالتغلب على زيادة أعضاء الوحدة المنزلية يمكن تميزه من خلال النمطين الرئيسين:

١- وحدات منزلية مكونة من ساحة أو غرفة رئيسة يحيط بها عدد من الغرف الصغيرة المساحة.

٢- وحدات منزلية تم تقسيم الغرفة الرئيسية بحد ذاتها إلى غرف أصغر مساحة، وفي النهاية تصبح الوحدة المنزلية مكونة من عدد من الغرف الصغيرة الحجم والتى ربما يوجد فوقها طابق ثانٍ (عين غزال).

يعكس النمطان سالفا الذكر الاختلاف في التعامل مع الفراغ في القرى الزراعية. النمط الأول يعكس إمكانية المد الأفقي للوحدات المنزلية، وربما بالتالي إلى طبيعة التوزيع المكاني المرتبط مع الجانب الاجتماعي؛ بمعنى أن تطور الموق – سواء نتيجة للتغيرات الاجتماعية الناتجة من الزيادة في عدد أفراد الوحدة المنزلية أو التغير في المعطيات الاقتصادية للوحدة المنزلية مثل الحاجة إلى حيز مكاني للقيام ببعض النشاطات التصنيعية (مثل تصنيع الخرز)- كان يتم ضمن حيز مكاني يعكس ملكية الوحدة المنزلية من الأرض.

أما النمط الثاني، فهو في الغالب على عكس النمط الأول الذي يشير إلى محدودية الرقعة المكانية التي تعود إلى الوحدة المنزلية؛ لذا، دعت الحاجة إلى التقسيم الداخلي للغرفة الرئيسة، وفي بعض الأحيان تشييد طابق ثانٍ. ما هو الجانب الاجتماعي الذي يمكن أن يعكسه هذان النمطان؟ إن أهم جانب هو المرتبط بكيفية تقسيم الموقع بين الوحدات الاجتماعية المختلفة التي استوطنت الموقع. يمكن الافتراض أن الرقعة المكانية التي تشكل مساحة الموقع ككل، تم تقسيمها بين العائلات التي شرعت ببناء منازلها، ومع الزيادة في عدد السكان المرتبط مع كل عائلة انعكس ذلك على المساحة التي يتم بناء الوحدات المنزلية فوقها. فالنمط الثاني يعكس الكثافة السكانية، وبالتالي صغر المساحة المخصصة للوحدات المنزلية. أما النمط الأول فيعكس المساحة التي تملكها الوحدة المنزلية الواحدة التي سمحت لها في النهاية بالامتداد الأفقي. النمط الثاني وجد في المواقع التي استوطنت في مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتوسط، مثل عين غزال؛ أما النمط الأول فوجد ضمن المواقع التي كان بداية الاستيطان فيها في مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتأخر.

من الجوانب المهمة التي يمكن مناقشتها خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب المتأخر، ما يتمثل في نظام التخزين. إذ نلاحظ خلال هذا العصر اختلافاً واضحاً في طبيعة أنماط التخزين، مقارنة مع الفترات السابقة؛ فمواقع هذه الفترة، مثل: (عين غزال، بسطة، بعجة، بيضا، الصفية، عين الجمام)، زودتنا بمعلومات حول طبيعة المرافق التخزينية التي استخدمها سكان هذه الفترة. فالمرافق تمثلت في الدرجة الأولى في غرف مخصصة لهذه الغاية، جاءت إما ملاصقة للغرفة الرئيسة (بسطة والصفية) أو أن هذه المرافق جاءت أسفل الغرف الرئيسة (عين غزال).

١-٤-٢ المباني غير السكنية خلال مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتأخر

إذا انتقلنا إلى الحديث عن المنشئات المعمارية غير السكنية (non-domestic building)، فنستطيع القول إن هذا النوع من المباني وجد في أنماط مختلفة خلال هذه الفترة. هذه المباني فسرت على كونها غير سكنية بالاعتماد على مخططها في الدرجة الأولى، الذي بني بنمط (style) مختلف عن الوحدات السكنية، وبناءً على المرافق البنائية التي وجدت بداخله (مثل: الحنايا، المصاطب، الدرج وما يشبه المذبح) والمرفقات التي وجدت بداخلها (بعضها عثر في داخله على بقايا حيوانية مثل القرون).

قبل الشروع في تبيان العلاقة المكانية بين هذا النوع من المباني والوحدات السكنية الأخرى، لا بد من توضيح بعض الخصائص المتعلقة بها. لقد جاءت المباني غير السكنية في مخططها إما بشكل دائري(عين غزال) (الشكل ٣) أو بشكل مستطيل (عين غزال، بيضا). في المنطقة الوسطى من الأردن يمكن تمييز نوعين معماريين من المباني غير السكنية؛ يتمثل النوع الأول بالمباني الدائرية المكتشفة في المنطقة الشمالية من موقع عين غزال، إذ عُثر على مبنيين دائريين لهما أرضيات مقصورة، يتوسط أرضية أحدهما حفرة مستديرة، تظهر من أسفلها أربع فتحات نافذة، كل اثنتان منهما متقابلتان (Rollefson and Kafafi 1994)، كما عثر في المنطقة الشرقية من عين غزال على مبنيين، الأول غرفة واحدة مستطيلة الشكل مبنية من الحجارة غير

الشكل ٣: تمثل الطابق الأول لاحدى المباني في عين غزال والمبنى الدائري غير سكني (العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتأخر (Rollefson and Kafafi 1996: Fig. 3).

المشذبة، وأرضيتها من الطين المدكوك. كما عُثر رلى جانب الجدار الجنوبي للغرفة على جدار مشيّد بحجارة أكبر حجما من الحجارة الأخرى، تحيط برقعة مشيدة من الطين المحروق، من المحتمل أنها استخدمت كمذبح، كما عثر على موقد مبني من القصارة ومدهون باللون الأحمر ومحاط بسبعة حجارة (Rollefson and Kafafi 1997: 33-34; Rollefson 2004)، كما عُثر في المنطقة نفسها على مبنى ثان يتألف من ثلاث غرف، وتتوسط الغرفة الرئيسة ذات الشكل المستطيل، غرفة إهليجية الشكل، ربما استخدمت للتخزين؛ أما الغرفة الثالثة فهي وحدة بنائية واحدة ترتبط من ناحية الغرب بالغرفة الرئيسة؛ كما عثر في الغرفة الرئيسة –ذات أرضية الطين المدكوك الذي شيد في وسطها موقد محاط بسبعة حجارة– على ثلاثة حجارة تقف بشكل عمودي، يحتمل أنها تمثل مذبحاً (Rollefson 2000).

في المنطقة الجنوبية من الأردن يمكن تمييز نوعين معماريين من المباني غير السكنية. النوع الأول جاء مكونا من غرفة مستطيلة تتبعها ساحة وعدد من الغرف للتخزين (بيضا). أما النمط الثاني فجاء مكونا من غرفة مستطيلة تتشابه مع الغرف المخصصة للسكن إلا إنها تحتوي في جدرانها عدداً من الحنايا الصغيرة (مثل عين جمام) (Fino 2004: 108). احتوت هذه الحنايا على جماجم حيوانية أو تماثيل بشرية أو حجر أُسطواني الشكل، لذلك فسر هذا النمط من المباني بأنه يمثل مبنى دينياً (أبو غنيمة ٢٠٠٤: ٢-٢١).

إن التركيز على تشييد مبانٍ متخصصة لممارسة طقوس معينة، لهو مؤشر على الاختلاف في سلوكيات المجتمع خلال هذه الفترة. فتلك المباني أصبح لها دور في تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع إذا أخذنا بعين الاعتبار الزيادة في عدد السكان، وكذلك مفهوم التعاون الاقتصادي للوحدات المنزلية التي تمثلت بوحدة اقتصادية متعاونة. من جهة أخرى، أصبحت المباني غير السكنية مجالاً للتمايز الاجتماعي، سواء بين المواقع أو داخل الموقع الواحد. وهذا ربما يفسر وجود أنماط مختلفة من المباني غير السكنية في موقع مهم، مثل عين غزال؛ إذ يعكس كل نمط مجموعة مصغرة من السكان داخل الحيز المكاني الأكبر (Ali 2010a).

٣- المناقشة والنتائج

يمثل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري في جنوبي بلاد الشام نواة لدراسة ظهور القرى الأولى، وما نتج عن ذلك من تحوّلات اجتماعية واقتصادية وتنظيمية لأفراد الجماعات، التي أخذت تستقر في بقعة مكانية ما، ولفترة زمنية أطول. كما أن دراسة التحولات في بنية الموقع الاستيطاني عبر مراحل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري يساعد في فهم الانعكاس المكاني لتلك التحولات ضمن الموقع الواحد؛ بمعنى آخر، كيفية انعكاس التحولات الاجتماعية- الثقافية للقرى الأولى على التوزيع المكاني لها.

فعلى سبيل المثال، نلاحظ أن التحولات الاقتصادية تساعد في فهم طبيعة العلاقة بين المجتمع والبيئة المحيطة به، والتقنية التي وظفت من قبل هذه الجماعة للوصول إلى حاجاتها الغذائية؛ لكنها تعكس كذلك توظيف الجانب المعماري وربطه مكانياً مع الحيز الفراغي للموقع، من أجل خدمة الحاجة الاقتصادية، سواء على مستوى المجتمع ككل، أو على مستوى الوحدات المنزلية. تلك المرافق المادية أصبحت تبلور سلوكيات المجتمع، وتنظِّم علاقة الإنسان مع المادة.

ما يميز مجتمعات القرى المبكرة عن المراحل السابقة يكمن في الدرجة الأولى في تنظيم الفراغ المكاني؛ فبعض مواقع الفترة النطوفية المتأخرة أظهرت تداخلا في التوزيع المكاني للأدوات المستخدمة للقيام بنشاطات متنوعة، إذ اعتبر ذلك غيابا للتنظيم المكاني للنشاطات التي تجرى من قبل السكان (Kuijt and Goodale 2009: 418). فالتحليل المكاني للأدوات الصوانية في بعض مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري(أ)، مثل: وادي فينان ١٦، والذراع، وعراق الدب، بينت الفصل المكاني للأدوات المستخدمة في بعض النشاطات والأماكن المخصصة كمكان للتخلص من النفايات. هذا بالتالي يقودنا إلى السؤال التالي: ما هي العلاقة التنظيمية للقرى المبكرة والتوزيع المكاني للمنشآت المعمارية والمرافق المنتشرة في القرية التي بمجملها عكست، افتراضيا، تنظيما مسبقا ومتغيرا؟

إن دراسة بُنية الموقع خلال المراحل الأولى للمجتمعات القروية تبين أنماطا خاصة، تعكس الخصوصية الثقافية لتلك الجماعات ليس على المستوى الاقتصادي فحسب وإنما الاجتماعي كذلك. فبعض هذه القرى مثل أريحا ووادي فينان ١٦ عكست تنظيما بنيويا للقرية لم يلبِ حاجات المجتمع اليومية فقط. فإضافة إلى المرافق السكنية، خصصت مبانٍ للنشاطات العامة أو التي تخدم المجتمع ككل، مثل: أماكن التخزين العام في وادي فينان ١٦ والذراع، أو تلك التي ارتبطت بالجانب التنظيمي للمجتمع، مثل برج أريحا. فتنظيم الفراغ المكاني في هذه المواقع عكس تنظيما اجتماعيا معقدا ربما أثّر بطريقة ما على السلوك التنظيمي للأفراد. هذا إذا قارناه مع القرى الأخرى التي عكست تنظيما، ربما من الناحية الاجتماعية كان يلبي حاجة سكانية أقل. فاقتصرت بنية الموقع فيه على الوحدات المنزلية وما

يتبعها من مرافق، كالمواقد وحفر التخزين.

المقارنة بين بنية المواقع خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) وما قبل الفخاري (ب) المتوسط تبرز من خلال التعامل مع الفراغ المكاني على اعتباره يمثل نمطاً اقتصادياً يرتكز على تدجين النباتات واستئناس الحيوانات وكذلك زيادة عدد السكان التي اختارت العيش في بقعة واحدة. نلاحظ الاختلاف في التنظيم المكاني للقرى العائدة لهذه الفترة على مستوى تنظيم الوحدات السكنية على شكل اقتطاعات، مثل غوير ١، إذ فصلت عن بعضها بعضاً عن طريق الممرات. وقد عكس هذا الجانب التنظيم الاجتماعي الذي ربما يرتبط بالعائلة الممتدة والمتعاونة اقتصاديا والمرتبطة بحيز مكاني محدد. فالانعكاس المادي للزيادة في حجم الوحدة المنزلية تمثل بتقسيم المنازل إلى وحدات أصغر أو إضافة غرف جديدة متلاصقة مع الوحدة المنزلية (النواة). كذلك يمكن ملاحظة هذا النمط من التنظيم المكاني والاجتماعي في المواقع التي تمثل بيوتا دائرية مثل شكارة مسيعد وعين أبو نخيلة.

إن النظر إلى المخططات المعمارية لهذا النمط من المواقع يشير إلى وجود غرفة كبيرة تتجمع حولها غرف أصغر حجما. فالغرفة الكبيرة الحجم ربما تمثل الوحدة المنزلية (النواة)، والغرف المجاورة تمثل التغلب على الزيادة في عدد أفراد الوحدة المنزلية. ما يميز هذه المرحلة كذلك غياب المباني ذات الطابقين (باستثناء موقع غوير ١) التي تميز مواقع المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب).

يمكن الاستدلال من خلال ذلك على وجود نمط اجتماعي موحّد خلال هذه الفترة، سواء للمجتمعات المستقرة في بيئة البحر المتوسط وتمارس الزراعة أو تلك المستوطنات في البيئة الجافة وتعتمد على الصيد. إن التغير الاقتصادي خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتوسط انعكس على توزيع المرافق المرتبطة بعملية التخزين. فالوحدات المنزلية أصبحت تضم في داخلها مرافق التخزين، تعكس وحدتها الاجتماعية والاقتصادية عن غيرها (يفتاحيل وعين غزال وأريحا). فربما هذا الجانب التنظيمي يعكس تبلور مفهوم الخصوصية الاقتصادية خلال هذه الفترة. ومن ناحية اقتصادية كذلك، ارتبط مع هذه الفترة مفهوم التخصصية، إما بتصنيع أنواع محددة من الأدوات الصوانية أو الحليّ التي ارتبطت مكانياً ضمن حيز محدد ربما تبع ذلك وحدات منزلية معينة.

كما انعكست الزيادة السكانية خلال هذه الفترة على تشييد المباني العامة التي لعبت دورا اجتماعيا تنظيميا من جهة، أو ارتبطت مع التقاليد المتبعة في عمليات الدفن. فبعض المواقع عكست الجانب التنظيمي من خلال تشيد المباني العامة مثل غوير ١ والبيضا، بينما استمرت بعض المجتمعات في ممارسة طقوس الدفن وربطها مكانيا مع مبان مخصصة للدفن الجماعي مثل شكارة مسيعد أو مواقع مخصصة لذلك مثل كفر الحرش. إنَّ التغير في بنية مواقع هذا العصر أصبح يُشكل حيزا مكانيا بلور سلوكيات جديدة للمجتمع من خلال العلاقة ما بين أماكن السكن والعمارة غير السكنية والأماكن المخصصة للقيام بعمليات التصنيع.

إن التحولات التي ارتبطت مع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتوسط أخذت منحنى تنظيميا أكثر وضوحا مع المرحلة المتأخرة (ب). فأصبحت بنية الموقع تعكس بشكل واضح الفصل ما بين مفهوم الخاص والعام وكذلك التحول في الميكانيكية التي تنظم علاقة الأفراد داخل المجتمع، نتيجة الزيادة المطردة في عدد السكان وخاصة تلك الناتجة عن إعادة استيطان جماعات بشرية جديدة في مواقع رئيسة مثل عين غزال (Rollefson 2008). هذا الوضع الديموغرافي الجديد في بعض المواقع العائدة لهذا العصر أثّر بشكل ما على إعادة هيكلة بنية المواقع وإيجاد نمط تنظيمي من السلوكيات التي تتيح العيش ضمن حيّز مكاني واحد. فعلى الصعيد الأدنى من التنظيم نجد أن الوحدات المنزلية أصبحت تشكل وحدات نواة تتمركز فيها مرافق الإنتاج والاستهلاك عكستا علاقة تنظيمية مصغرة تشمل ضمن حيزها المكاني العائلة الممتدة. كما عكست بعض هذه الوحدات المنزلية التخصصية في الإنتاج المتمثل ببعض الصناعات مثل الحليّ. إن الهيكلة التنظيمية لمجتمعات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتأخر تجلّت في فصل المكاني للمباني غير السكنية التي أصبحت تخدم مجموعة أكبر من السكان. فالمباني الدينية

حلّت محل المنزل الذي اتسم بالصبغة الرمزية (مثل مكان للدفن) ليصبح مبنى له وظيفة تنظيمية داخل المجتمع، خاصة في مرحلة من مراحل إعادة توزيع الإنتاج الزراعي على مستوى الوحدات المنزلية المتعاونة اقتصاديا، إضافة إلى وظيفته كمكان لممارسة الشعائر (Ali 2010a). إن ذلك يعكس في الدرجة الأولى التعقيد الاجتماعي الذي ميز هذه الفترة من العصر الحجري الحديث والتنظيم المكاني للموقع ليلبي حاجات المجتمع.

الخلاصة، إن دراسة مراحل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري بشقيه (أ) و(ب) تساعد في تتبع المراحل التحوّلية في بنية المواقع، وتبيان مدى أثر العامل الاجتماعي في تحوّل وتغيّر بنية المواقع. إن ذلك لمؤشر خاصة خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) المتأخر إلى الحاجة إلى إعادة تنظيم الفراغ لتلبية حاجة السكان في ظل الكثافة السكانية المرتبطة مع هذه المرحلة. إن أهم جانب كذلك هو التركيز على الخصوصية الثقافية الاجتماعية لمجتمعات هذا العصر في التعامل مع المكان؛ فقد بدا ذلك واضحاً من دراسة بنية المواقع في شمال جنوبي بلاد الشام، ومقارنتها مع المواقع الجنوبية. فالخصوصية الثقافية لا تعني إثنيات مختلفة وإنما ممارسات اجتماعية تلبي حاجة الجماعة مستمدة من مظلة ثقافية عامة مشتركة. وقد تجلى ذلك أيضا في نمط ممارسة التقنية المستخدمة في تصنيع الأدوات الصوانية (Ali 2010b) التي بينت التنوع في إنتاج الأدوات الصوانية بين الحزم البيئية المتشابهه في جنوبي بلاد الشام، ما يعد مؤشراً إلى الاختيار الاجتماعي المرتبط بالتقنية.

د. نبيل علي: قسم الاثار- كلية الآثار والسياحة، الجامعة الأردنية، عمان - الأردن. nabil.ali@ju.edu.jo.

د. خالد أبو غنيمة: قسم الاثار- كلية الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، إربد- الأردن.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

أبوغنيمة، خالد، ٢٠٠٤، «أنماط العمارة ونماذجها في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري في الأردن»، **دراسات تاريخية** (٨٥٨٦)، ٣٢٨.

أبوغنيمة، خالد، ٢٠٠١، «أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث في بلاد الشام»، **دراسات تاريخية** (٧٥٧٦)، ٣٤٩.

ستوردور، دانييل، ٢٠٠٤، **المدينة في سورية وأقاليمها، الموروثات والمتحولات**، مجموعة من المؤلفين بإشراف د. جان كلود دافيد ود. محمد الدبيات. ترجمة، محمد الدبيات. دمشق، دار الجندي.

الشياب، عبد الحليم وأبو غنيمة، خالد، ٢٠١٢، «أرقام وأعداد، إشارات ورموز من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري في بلاد الشام»، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**: ٦ (٢)، ١٥٥١٨٦.

ثانياً: المراجع غير العربية

Ali, N. 2010a. "The restructuring of socio-economic relations during the LPPNB in the southern Levant and the role of ritual buildings", **Jordan Journal for History and Archaeology IV (1): 159-188**

Ali, N. 2010b. "Style, society and lithic production during the Late Natufian and Early Neolithic periods in the southern Levant". In: **The Principle of Sharing. Segregation and Construction of social identities at the Transition from Foraging to Farming**, Benz, M, (ed.). Studies in Early Near Eastern Production, Subsistence, and Environment 14: 223-248. Berlin: ex oriente.

Bartl,K.2003.**Vorratshaltung:Diespätepipaläolithische und frühneolithische Entwicklung im westlichen Vorderasien, Voraussetzungen, typologische Varianz und sozio-ökonomische Implikationen im Zeitraum zwischen 12,000 und 7,600 BP**, Berlin: ex oriente.

Bar-Yosef, O. and Gopher, A.(eds.). 1997. **An Early Neolithic Village in the Jordan Valley Part I: The Archaeology of Netiv Hagdud**, Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, Harvard University.

Bar-Yosef, O., Gopher A. and Goring-Morris A. N. 1980. "Netiv Hagdud: A "Sultanian» mound in the lower Jordan valley", **Paleorient** 6: 201-206.

Belfer-Cohen, A., and Arensburg, B. 1997. "The human remains from Netiv Hagdud". In: **An Early Neolithic Village in the Jordan Valley: Part 1. The archaeology of Netiv Hagdud**, Bar-Yosef, O., and Gopher, A., (eds.), pp. 201-208.American School of Prehistoric Research Bulletin No. 43. Harvard: Harvard University Press.

Binford, L. 1983. **In Pursuit of the Past: decoding the archaeological record**, New York: Thames and Hudson.

Cauvin, J. 1978. **Les premiers villages de Syrie-Palestine du IXeme- au VIIeme millenaire avant J.c.**, Collection de la Maison de l'Orient Mediterranee Ancien 4, Serie Archeologique 3, Lyon,: Maison de l'Orient.

Edwards, P., Meadows, J., Metzger, M. C. and Sayej, G.

2002a . "Results from the First Season at Zahrat adh-Dhra' 2: A New Pre-Pottery Neolithic A Site on the Dead Sea Plain in Jordan", **Neo-Lithics** 02/1: 11-16.

Edwards, P., Meadwos, J., Sayej, G. and Metzger, M., 2002b . "Zahrat adh-Dhra' 2: A New Pre-Pottery Neolithic A Site on the Dead Sea Plain in Jordan", **Bulletin of the American Schools of the Oriental Research** 327: 17-48.

Edwards, P., Meadows, J., Sayej, G. and Westaway, M. 2004. "From the PPNA to the PPNB: New Views from the Southern Levant after excavations at Zahrat adh-Dhra' 2 in Jordan", **Paléorient** 30/2: 21-60.

Finlayson, B., Kuijt, H., Arpin, T., Chesson, M., Dennis, S., Goodale, N., Kadowski, S., Maher, L., Smith, S., Schurr, M. and McKay, J. 2003. "Dhra' Excavation Project 2002, Interim Report", **Levant** 35: 1-38.

Finlayson, B. and Mithen, S. 2007. "Excavations at WF 16". In: **The Early Prehistory of Wadi Faynan, Southern Jordan: Archaeological Survey of Wadi Faynan, Ghuwayr and al-Bustan and Evaluation of the Pre-Pottery Neolithic A Site of WF 16**, Finlayson, B. and Mithen, S., (eds.), pp. 145-202. Oxford: The Council for British Research in the Levant and Oxbow Books, Park End Place.

Finlayson, B., Mithen, S., Carruthers, D., Kennedy, A., Pirie, A. and Tipping, R. 2000. "Dana-Faynan-Ghuwayr Early Prehistory Project", **Levant** 32: 1-16.

Finlayson, B., Mithen, B., Najjar, M., Jenkins, E. and Smith, S. 2010. "New Excavations at WF 16, a Pre-Pottery Neolithic A Site in Southern Jordan", **Antiquity** 83: 1-3.

Finlayson, B., Mithen, S, J., Najjar, M., Smith, S., Maricevic, D. and Pankhurst, N. 2011. "Architecture, Sedentism, and Social Complexity at Pre-Pottery Neolithic A WF 16, Southern Jordan", **PNAS** 108/20: 8138-8188.

Fino, N. 2004. "Evidence of Settlement Organization at 'Ain Jammam". In: **Central Settlements in Neolithic Jordan. Proceedings of the Symposium Held in Petra, July 1997**, (H.-D. Bienert, H.G.K. Gebel, and R. Neef (eds.), pp. 105-112. Berlin: ex oriente.

Flannery, K. 2002. "The origins of the village revisited: From nuclear to extended households", **American Antiquities** 67(3): 417-433

Garfinkel, Y. 1987. "Yaftahel: A Neolithic village from the seventh millennium B.C in lower Galilee, Israel", **Journal of Field Archaeology** 14: 199-212.

Garfinkel, Y., Dag, D. (eds.) 2006. **Gesher: A Pre-Pottery Neolithic A Site in the Central Jordan Valley, Israel. A Final Report**, Bibliotheca neolithica Asiaemeridionalis et occidentalis, Berlin, ex oriente

Gopher, A. 1989. "Horvat Galil and Nahal Betzet I: Two Neolithic Sites in the Upper Galilee", **Mitekufat Haeven** 22: 84.

Gopher, A. 1995. "'Ain Darat: A PPNA site in the Judean

desert", **Neo-Lithics** 1\95: 7-8.

..... 1996. "A Preliminary Report on the Flints from Ain Darat: a PPNA Site in the Judean Desert". In: **Neolithic Chipped Stone Industries of the Fertile Crescent and Their Contemporaries in Adjacent Areas**, Kozlowski, S. K. and Gebel H. –G. (eds.), 443-452. Studies in Early Near Eastern Subsistence, Production, and Environment 3. Berlin: ex oriente.

Gopher A. 1997. "Horvat Galil: An Early PPNB Site in the Upper Galilee, Israel", **Tel Aviv** 24 (2): 183-222.

Gopher, A., Goring-Morris, A. N. 1998. **Abu Salem. A Pre-Pottery Neolithic B camp in the central Negev Highlands, Israel. Bulletin of the American School of Oriental Research** 312: 1-20.

Goring-Morris, N., and Belfer-Cohen, A. 1998. "The articulation of cultural processes and Late Quaternary environmental changes in Cisjordan", **Paleorient** 23: 71-93.

Goring-Morris, N., and Horwitz, L. 2007. "Funerals and feasts during the Pre-Pottery Neolithic B of the Near East", **Antiquity** 81: 902-919.

Heinz, M. 1997. **Der Stadtplan als Spiegel der Gesellschaft. Räumliche Ordnung altorientalischer Siedlungen als Indikator für Formen wirtschaftlicher und gesellschaftlicher Organisation**, Reimer, Berlin

Henry, D. 2005. "Ayn Abu Nukhayla: Early Neolithic Adaptation to the Arid Zone", **Journal of the Israel Prehistoric Society** 35: 353-370.

Henry, D., White, J. , Beaver, J., Kadowaki, S., Nowell, A., Cordova, C., Dean, R., Ekstrorom, H., McCorriston, J. and Scott-Cumminical, L., 2003. "The early Neolithic site of Ayn Abu Nukhayla, southern Jordan", **Bulletin of the American Schools of the Oriental Research** 330: 1-30

Henry, D., Kadowaki, S., and Bergin, S. 2014. "Reconstructing early Neolithic social and economic organization through spatial analysis at Ayn Abu Nukhayla, southern Jordan", **American Antiquity** 79 (3): 401-424.

Hermansen, B. D., Thuesen, J., Jensen, C. H., Kinzel, M., Petersen, M. B., Jorkov, M. L. and Lynnerup, N. 2006. Shkârat Msaied: The 2005 Season of Excavations. A "Short Preliminary Report", **Neo-Lithics1**/06: 3-7.

Hershkovitz, I., Bar-Yosef, O. and Arensburg, A. 1994. "The Pre-Pottery Neolithic Populations of South Sinai and Their Relations to other Circum-Mediterranean Groups: An Anthropological Study", **Paléorient** 20 (2): 59-84.

Jenkins, E., Baker, A., and Elliott, S. 2011. "Past plant use in Jordan as revealed by archaeological and ethnoarchaeological phytolith signatures". In: *Water,* **Life and Civilization: climate, environment and society in the Jordan Valley**, Mithen, S., and Black, E. (eds.), pp 381-400. Cambridge: Cambridge University Press.

Kadowaki, S. 2012. "A household perspective towards the Pre-Pottery Neolithic to Late Neolithic transformation in the southern Levant", **Orient** (The Society for Near Eastern Studies in Japan) XLVII: 3-28.

Kenyon, K. 1957. **Digging Up Jericho**. London: British School of Archaeology in Jerusalem

Kenyon K. and Holland, T. 1982. **Excavations at Jericho, volume 3: the Architecture and Stratigraphy of the Tel,** London: British School of Archaeology in Jerusalem.

Khalaily, H., Bar-Yosef, O., Barzilai, O., Boaretto, E., Bocquentin, F., Eirikh-Rose, A., Greenhut, Z., Goring-Morris, A. N., Le Dosseur, G., Marder, O., Sapir-Hen, L. and Yizhaq, M., 2007. "Excavations at Motza in the Judean Hills and the Early Pre-Pottery Neolithic B in the Southern Levant", **Paléorient33**, 2: 5-38

Kirkbride, D. 1966. "Five Seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village of Beidha in Jordan", **Palestine Exploration Quarterly** 98: 8-72.

Kramer, C. 1982. **Village Ethnoarchaeology: Rural Iran in Archaeological Perspective**. New York: Academic Press.

Kuijt, I. 1998. "Trying to fit round houses into square holes: re-examining the timing of the south-central Levantine Pre-Pottery Neolithic A and Pre-Pottery Neolithic B cultural transition". In: **The Prehistory of Jordan II: Perspective from 1997**, Gebel, H-G., Kafafi, Z., and Rollefson, G. (eds.), pp. 193-202. Berlin: ex orinete.

Kuijt, I. 2000. "People and space in early agricultural villages: Exploring daily lives, community size and architecture in the Late Pre-Pottery Neolithic", **Journal of Anthropological Archaeology** 19: 75-102

Kuijt I. 2004. "Pre-Pottery Neolithic A and Late Natufian at Iraq ed-Dubb, Jordan", **Journal of Field Archaeology** 29(3-4): 291-308.

Kuijt, I. 2008. "Demographic and Storage Systems during the Southern Levantine Neolithic Demographic Transition". In: **The Neolithic Demographic Transition and Its Consequences**, Bocquet-Appel, J.-P., and Bar-Yosef, O. (eds.), pp. 287-313. Springer Science and Business Media B.V.

Kuijt, I. and Chesson, M. S. 1994. "Investigations at Jabal Quiesa, Jordan (1993): A Reconsideration of Chronology and Occupational History", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 38: 33-39.

Kuijt, I. and Finlayson, B. 2001. "The 2001 Excavation Season at the Pre-Pottery Neolithic A Site of Dhra'. Jordan: Preliminary Results", **Neo-Lithics** 2/01: 12-15.

Kuijt, I. and Finlayson, B. 2002. "The 2002 Excavation Season at Dhra', Jordan: Preliminary Results from the Jericho IX and Pre-Pottery Neolithic A Components", **Neo-Lithics** 2/02: 17-21.

Kuijt, I., and Finlayson, B. 2009. "Evidence for food storage and predomestication granaries 11,000 years ago in the Jordan Valley", **PNAS**: 1-5.

Kuijt, I., and Goodale, N. 2006. "Chronological frameworks and disparate technology: an exploration of chipped stone variability and the forager to farmer transition at 'Iraq ed-Dubb, Jordan", **Paleorient** 32: 27-46.

Kuijt, I., and Goodale, N. 2009. "Daily practice and the organization of space at the dawn of agriculture: a case study from the Near East", **American Antiquity** 74 (3): 403-422.

Kuijt, I., Mabry, J. and Palumbo, G. 1991. "Early Neolithic Use of Upland Areas of Wadi El-Yabis: Preliminary Evidence from the Excavations of Iraq ed-Dubb, Jordan", **Paléorient** 17 (1): 99-108.

Lechevallier, M., Philibert, D., Ronen, A., and Samzun, A. 1989. "Une Occupation Khiamienne et Sultanienne à Hatoula (Israel)?", **Paléorient** 15 (1): 1-10.

Marder, O., Goring-Morris A, N., Khalaily, H., Milevski, I., Rabinovich, R. and Zbenovich, V. 2007. "Tzur Natan, A Pre-Pottery Neolithic A Site in Central Israel and Observation on Regional Settlement Patterns", **Paléorient** 33 (2): 79-100.

Mithen, S., Finlayson, B., Smith S., Jenkins E., Najjar, M. and Maricevie, D. 2011. "An 11600 Year Old Communal Structure from the Neolithic of Southern Jordan", **Antiquity** 85: 350-364.

Nissen, H.-J. 2006. "The Architecture". In: **Basta II. The Architecture and Stratigraphy**, Gebel H.-G. K, Nissen H.-J., and Zaid, Z. (eds.): 133-180. Berlin: ex oriente.

Nissen, H.-J., Muheisen, M., and Gebel, H.-G. 1991. "Report on the Excavations at Basta 1988", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 35 : 13-40.

Noy, T. 1979. "Stone Cup-Holes and Querns from Gilgal 1, A Pre-Pottery Neolithic A Site in Israel", **Paléorient** 5: 233-238.

Noy, T. 1989. "Gilgal I: A Pre-Pottery Neolithic Site, Israel- the 1985-1987 Seasons", **Paléorient** 15/1: 11-18.

Noy, T., Schuldenrein, J. and Tchernov, E. 1980. "Gilgal: A Pre-Pottery Neolithic A Site in the Lower Jordan Valley", **Israel Exploration Journal** 30: 63-82.

Palumbo, G., Mabry, J. and Kuijt, I. 1990. "The 1990 Wadi El-Yabis Survey and Test Excavations", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 34: 95-118

Quintero, L. 2011. "Evolution of Lithic Economies in the Levantine Neolithic. Development and Demise of Naviform Core Technology as Seen from 'Ain Ghazal ('Ain Ghazal Excavation Report 2)", Berlin: ex oriente.

Rollefson, G. 1996. "Abu Hudhud (WHS 1008): An EPPNB Settlement in Wadi al-Hasa, Central Jordan". In: **Neolithic Chipped Stone Industries of the Fertile Crescent, and Their Contemporaries in Adjacent Areas**, Kozlowski, S. K. and Gebel H. –G. (eds.), pp. 159-160. Studies in Early Near Eastern Subsistence, Production, and Environment 3.Berlin: ex oriente.

Rollefson, G. 2000. "Ritual and Social Structure at Neolithic Ain Ghazal". **In: Life in Neolithic Farming Communities: social organization, Identity and Differentiation**, Kuijt, I. (ed.), 163-190. New York and London: Kluwer Academic and Plenum Publishers.

Rollefson, G. 2004. "The Character of LPPNB Social Organization". In **Central Settlements in Neolithic Jordan,** Bienert H-D., Gebel H. G. and Neef R., (eds.), pp.145-155. Studies in Early Near Eastern: Production, Subsistence, and Environment 5. Berlin, ex oriente.

Rollefson, G. 2008. "The Neolithic Period". In: **Jordan: an archaeological reader**, Adams, R., (ed.), pp.71-108. London: Equinox Publishing Ltd.

Rollefson, G. and Kafafi, Z. 1994. "The 1993 Season at Ain Ghazal: Preliminary Report", **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 38: 11-32.

Rollefson, G. and Kafafi, Z. 1997. "The 1996 Season at Ayn Ghazal: Preliminary Report", **1w** 41: 27-48.

Rollefson, G., Simmons, A., and Kafafi, Z. 1992. "Neolithic Cultures at 'Ain Ghazal, Jordan", **Journal of Field Archaeology** 19: 443-470.

Ronen, A., Milstein, Sh., and Lamdan, M. 1999. "The spatial organization of the PPNB site Nahal Reuel, Israel", **Neo-Lithics** 3\99: 15-16.

Saidel, B. 1993. "Round house or square? Architecture form and socio-economic organization in the PPNB", **Journal of Mediterranean Archaeology** 6 (1): 65-108

Sapir-Hen, L., Bar-Oz, G., Khalaily, H. and Dayan, T.

2009. "Gazelle Exploitation in the Early Neolithic Site of Motza, Israel: the Last of the Gazelle Hunters in the Southern Levant", **Journal of Archaeological Science** 36: 1538-1546.

Sayej, G.J. 2004. "The Lithic Industries of Zahrat Adh-Dhra '2 and the Pre-Pottery Neolithic Period of the Southern Levant", **BAR international series** *1329*. Oxford, Archaeopress.

Simmons, A., and Najjar, M., 2006. "Ghwair I : A small but complex Neolithic Community in southern Jordan", **Journal of Field Archaeology** 31: 77-95.

Simmons, A. and Najjar, M. 2007. "Life in the Resort Corridor – Ghwair 1, a small but Elabirate Neolithic Community in Southern Jordan". In: *Crossing Jordan:* **North American Contributions to the Archaeology of Jordan,** Levy T., Daviau, P. M. M., Younker, R. W. and Shaer, M., (eds.), pp 233-241. London-Oakvill: Equinox,

Stordeur, D. 2000. "New Discoveries in Architecture and Symbolism at Jerf el Ahmar (Syria) 1997-1999", **Neo-Lithics** 1/00: 1-4.

Valla, F. 1995. "The first settled societies- Natufian (12,500-10,200 BP)". In: **The Archaeology of Society in Holy Land, Levy, T.** (ed.), pp. 169-185. London: Leicester University Press.

Verhoeven, M. 2002. "Transformation of society: the changing role of ritual and symbolism in the PPNB and PN in the Levant, Syria and south-east Anatolia", **Paléorient** 28(1): 5-14.

Watson, P. 1979. **Archaeological ethnography in western Iran**. Tucson: University of Arizona Press.

Wilson, J. 1988. **The Domestication of the Human Species**. New Haven: Yale University Press.

Yartah, Th. 2013. **Vie quotidienne, vie communautaire et symbolique à Tell 'Abre 3- Syrie du Nord. Données nouvelles et nouvelles réflexions sur l»Horizon PPNA au Nord du Levant 10000-9000 BP**. Thèse du Doctorat-Lyon.

Zarins, J. 2000. "Jilat 7". In: **Encyclopedia of Prehistory, Volume 8: South and Southwest Asia,** Ember M. and Peregreine P. N., (eds.) p. 80. New York: Kluwer Academic\Plenum Publishers.